محمد بن مسلم بن
الزهري بن الزهري

أعلام التابعين

محمد بن مسلم بن الزهري

هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله الأصغر[1] بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب الزهري[2]. وأمه من بني الدئل من بكر بن عبد مناة بن كنانة. وقيل اسمها: عائشة بنت عبد الله الأكبر بن شهاب. كنيته: (أبو بكر).

قيل: إنه كان رجلاً دميماً، ليس له ذاك النبل، لم يكن بالجميل.

وقال سفيان: " رأيت الزهري أحمر الرأس واللحية وفي حمرتها انكفاء قليل كأنه يجعل فيه كَتَمَاً ".

وقال أيضاً: " كان الزهري أعيمش وعليه جميمة "[3].

(1) هناك رجل آخر اسمه عبد الله بن شهاب الأكبر، وهو أخو عبد الله الأصغر، كان اسمه عبد الجان، فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله، وهو ممن هاجر إلى أرض الحبشة، ومات بمكة قبل الهجرة إلى المدينة، وأخوه عبد الله بن شهاب الأصغر شهد أحداً مع المشركين، ثم أسلم بعد، ومات بمكة، نسب قريش لمصعب الزبيري، ص: 3و274، وانظر: الإصابة 375/2.

(2) انظر: ترجمته في نسب قريش لمصعب الزبيري، ص 3و 274، والطبقات الكبرى لابن سعد 157، تحقيق زياد منصور، والعلل لأحمد 249/2، رقم (2543)، وجمهرة النسب لابن الكلبي 79، والتاريخ الكبير للبخاري 220/1، والتاريخ الصغير له 356/1، وتاريخ خليفة بن خياط 261، والمعرفة والتاريخ للفسوي 620/1، والجرح والتعديل 71/8، والحلية لأبي نعيم 360/3، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم 130، وتاريخ دمشق (انظر: ترجمة الزهري تحقيق شكر الله قوجاني 38، وما بعدها)، ووفيات الأعيان 177/4، وتهذيب الكمال 419/26، وسير أعلام النبلاء للذهبي 326/5، وتاريخ الإسلام له 136/5، وتذكرة الحفاظ له 108/1، والبداية والنهاية 340، وغيرها.

(3) نسب قريش 274، وطبقات خليفة 261، وتاريخ دمشق 38، 40، تحقيق قوجاني، وتهذيب الكمال 420/26. الطبقات الكبرى لابن سعد (القسم المتمم لتابعي أهل المدينة 157) تحقيق: زياد منصور. الدمامة: - بالفتح - القِصَر، والقُبْح، ورجل دميم. النهاية 134/2. انكفاء أي تغير. النهاية 183/4.
الكتم: نبت يخلط مع الوسمة، ويصبغ به الشعر أسود، وقيل: هو الوسِمة. النهاية 150/4، والوسِمة - بكسر السين، وقد تسكن - نبت، وقيل: شجر باليمن يخضب بورقه الشعر. النهاية 185/5. العمش: محركة ضعف البصر مع سيلان الدمع في أكثر الأوقات. القاموس (عمش). جميمة: تصغير جمة، والجمة من شعر الرأس، ما سقط على المنكبين. النهاية 300/1.

وروى أيضاً: أنه كان رجلاً قصيراً، قليل اللحية، له شعيرات طوال، خفيف العارضين.

اختلف في تاريخ ولادته إلى أقوال وإن كان أرجحها هو عام إحدي وخمسن[1].

نشأ الزهري في المدينة فقيراً لا مال له مقطعاً من الديوان، حتى ضاقت عليه الأرض، فلا يدري أين يتجه، ليحصل على مالٍ يسدُّ به حاجته وأهل بيته، ويقضي ديونه، حتى ألهمه ربه بالتوجه إلى الشام، فوفد على عبد الملك بن مروان سنة اثنتين وثمانين فقضى دينه، وفرّج الله همّه على يد الخليفة عبد الملك ابن مروان، ثم كرّ راجعاً إلى المدينة، ثم جعل يتردد بين الشام والحجاز حتى توفاه الله.

كانت بداية طلبه للعلم بالمدينة النبوية صغيراً، فبدأ - كما هو معتاد عند أبناء المسلمين - بحفظ القرآن الكريم، فحفظه في ثمانين ليلةً، ثم أقبل على تعلِّم الأنساب، فذهب إلى عبد الله بن ثعلبة بن صُعير العدوي، وكان عالماً بالأنساب، فجلس يتعلم منه الأنساب عامةً ونسب قومه خاصةً، فجاء رجلٌ يسأل عبد الله بن ثعلبة عن مسألة فقهية في الطلاق فَعَيِيَ عن الجواب، وأشار إلى سعيد بن المسيب، فقال الزهري: قلت في نفسي: ألا أراني مع هذا الرجل المسن يعقل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على رأسه وهو لا يدري ما هذا![2]فانطلقت مع السائل إلى سعيد بن المسيب، فجالسته سبع حجج، وأنا لا أظن أن أحداً عنده علم غيره.

وفي رواية: أن السائل عن المسألة الفقهية هو الزهري نفسه، فقال: إن كنت تريد هذا فعليك بهذا الشيخ سعيد بن المسيب [3].

---

(1) ذكر ذلك خليفة بن خياط في تاريخه 218، وانظر: وفيات الأعيان 178/4 وسير أعلام النبلاء 326/5. محمد بن محمد العواجي، مرويات الإمام الزهري في المغازي، الطبعة: الأولى 1425هـ/2004م، 1 / 141.

(2) يقصد بالمسح، مسح النبي صلى الله عليه وسلم وجهه عام الفتح كما في تاريخ البخاري الكبير (5/ 35 - 36)، ولفظه: " كان النبي صلى الله عليه وسلم قد مسح وجهه عام الفتح ".

(3) التاريخ الكبير للبخاري (1/ 220)، والمعرفة والتاريخ للفسوي (1/ 633و349) وتاريخ دمشق

ومهما يكن، فقد ترك الزهري تعلم الأنساب، واتجه إلى تعلم الأحكام، فجدَّ واجتهد في تحصيل العلم حتى فاق أقرانه.

قال عنه إبراهيم بن سعد الزهري: ما سبقنا ابن شهاب بشيء من العلم إلا أنه كان يشدُّ ثوبه عند صدره، ويسأل عما يريد، وكنا تمنعنا الحداثة.

وقال إبراهيم بن سعد أيضاً: قلت لأبي: بِمَ فاقكم الزهري؟ قال: كان يأتي المجالس من صدورها، ولا يأتيها من خلفها، ولا يبقي في المجلس شاباً إلا سأله، ولا كهلاً إلا سأله، ولا فتى إلا سأله، ثم يأتي الدار من دور الأنصار فلا يُبقي شاباً إلا سأله، ولا كهلاً إلا سأله، ولا فتى إلا سأله، ولا عجوزاً إلا سألها، ولا كهلةً إلا سألها، حتى يحاول ربات الحجال [1].

وقال أبو الزناد: " كنا نكتب الحلال والحرام، وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع، فلما احتيج إليه علمت أنه أعلم الناس ".

وقال أيضاً: " كنت أطوف أنا وابن شهاب، ومع ابن شهاب الألواح والصحف، قال: فكنا نضحك به ".

وقال صالح بن كيسان: " كنت أطلب العلم أنا والزهري، قال: فقال - أي الزهري - نكتب السنن، قال: فكتبنا ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: تعال نكتب ما جاء عن الصحابة، قال: فكتب ولم أكتب، قال: فأنجح وضيعت " [2].

ولعل الزهري كان حريصاً على أخذ العلم ممن عرف عنهم مثل سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وغيرهما من قريش، حتى وفد على عبد الملك،

(49 - 50). الطبقات الكبرى (157 - 158)، والتاريخ الكبير للبخاري (5/ 35 - 36)، والمعرفة والتاريخ (1/ 472.

(1) الطبقات الكبرى (2/ 388 - 389)، و(168) من القسم المتمم، تحقيق: زياد، والمعرفة (1/ 638)، وتهذيب الأسماء واللغات (92/1)، وتهذيب الكمال (9/ 449).

(2) المعرفة والتاريخ (1/ 639)، وتاريخ أبي زرعة رقم (967)، وتاريخ دمشق (60) رقم (61) من ترجمة الزهري، الطبقات الكبرى (2/ 388) و(ص: 168) من القسم المتمم، تحقيق: زياد، والمعرفة والتاريخ (1/ 637)، وتاريخ أبي زرعة رقم: (966)، والحلية لأبي نعيم (3/ 360)، وشرح السنة للبغوي (1/ 296)، وتاريخ دمشق (62) رقم (65).

فجعل عبد الملك يسائله عمن لقي، قال الزهري: فجعلت أسمي له وأخبره بمن لقيت من قريش لا أعدوهم، فقال عبد الملك: فأين أنت عن الأنصار؟ فإنك واجدٌ عندهم علماً، أين أنت عن ابن سيدهم خارجة بن زيد بن ثابت؟ أين أنت عن عبد الرحمن بن يزيد بن جارية؟ قال: فسمى رجالاً منهم، قال: فقدمت المدينة فسألتهم وسمعت منهم، فوجدت عندهم علماً كثيراً.

غير أنه داوم على الأخذ من أربعة كلهم بحور في العلم سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وأبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، كان هؤلاء قد أخذوا علمهم عن الصحابة فضم علمهم إلى علمه، فصار أوحد أهل زمانه، ونجم أقرانه.

وقد ساعده على ذلك أمور منها: كتابته، فقد كان يكتب كل ما سمع، ومنها قوة حافظته وذاكرته فقد توفرت عنده الأدوات التي يحتاجها طالب العلم، وهي الكتابة والحفظ والذكاء والفهم، فسبحان المعطي، فقد روي عنه قال: ما استودعت قلبي شيئاً قط فنسيته.

وقال معمر: " سمعت الزهري يقول: ما قلت لأحد أعد عليّ ".

وقال الزهري: " اختلفت من الشام إلى الحجاز خمساً وأربعين سنة، فما كنت أسمع حديثاً أستطرفه " [1].

وقال: " ما استعدت حديثاً قط، ولا شككت في حديث، إلا حديثاً واحداً، فسألت صاحبي فإذا هو كما حفظت ".

وقد اختبره هشام بن عبد الملك ذات يومٍ، فسأل الزهري أن يملي على بعض ولده، فدعا بكاتب، فأملى عليه أربع مائة حديث، ثم خرج الزهري من عند هشام، قال: أين أنتم يا أصحاب الحديث، فحدثهم بتلك الأربع مائة حديث، ثم أقام هشامٌ شهراً أو نحوه، ثم قال للزهري: إن ذلك الكتاب الذي أمليت علينا قد ضاع، قال: فلا عليك، ادع بكاتبٍ، فدعا بكاتب فحدثه بالأربع مائة حديث، ثم قابل هشام

(1) المعرفة والتاريخ (1/ 363)، وتاريخ أبي زرعة رقم (948)، والحلية لأبي نعيم (3/ 362). محمد بن محمد العواجي، مرويات الإمام الزهري في المغازي، الطبعة: الأولى 1425هـ/2004م، 1 / 141.

بالكتاب الأول، فإذا هو لا يغادر حرفاً واحداً [1].

وقال مالك بن أنس: حدث الزهري يوماً بحديث فلما قام قمت فأخذت بعنان دابته فاستفهمته، قال: تستفهمني؟ ما استفهمت عالماً قط ولا رددت شيئاً على عالم قط، قال: فجعل عبد الرحمن بن مهدي يعجب ويقول: فَذِيْكَ الطِّوال وتلك المغازي! [2].

وقال مالك أيضاً: أخذت بلجام بغلة الزهري فسألته أن يعيد عليّ حديثاً، فقال: ما استعدت حديثاً قط.

وفي رواية أخرى قال: حدثنا ابن شهاب أربعين حديثاً فتوهمت في حديث منها، فانتظرته حتى خرج فأخذت بلجام بغلته ثم سألته عن حديث واحد شككت فيه فقال: أو لم أحدثكه؟ قال: قلت: بلى، ولكني توهمت فيه، فقال: لقد فسدت الرواية، خل لجام الدابة، فخليته ومضى[3].

منزلته العلمية. :

تبوأ الزهري مكانة بين الناس لم يصلها أحد من أقرانه فأثنى عليه كبار المحدثين واعترفوا بفضله، قال الإمام مالك بن أنس: " كان الزهري إذا دخل المدينة لم يحدث بها أحد من العلماء حتى يخرج الزهري ". وذلك لإتقانه وحفظه.

قال عمرو بن دينار: " ما رأيت أبصر للحديث من ابن شهاب ".

وقال: " ما رأيت أنصَّ للحديث من هذا الشيخ ".

وفي رواية: " ما رأيت مثل هذا القرشي قط ".

(1) الطبقات الكبرى (166) القسم المتمم، والحلية (3/ 363)، وتاريخ دمشق (85) ترجمة الزهري. المعرفة والتاريخ (1/ 640)، وتاريخ دمشق (89) رقم (102) من ترجمة الزهري. محمد بن محمد العواجي، مرويات الإمام الزهري في المغازي، الطبعة: الأولى 1425هـ/2004م، 1 / 141.

(2) الجرح والتعديل (8/ 72) رقم (318)، وتاريخ دمشق (76) رقم (80) من ترجمة الزهري، وتهذيب الكمال (26/ 343).

(3) تاريخ دمشق (83) رقم (92) من ترجمة الزهري.

وقال أيضاً: " جالست جابر بن عبد الله وابن عمر وابن عباس وابن الزبير، فلم أر أحداً أنسق للحديث من الزهري ".

وقال معمر: " ما رأيت مثل الزهري في وجهه قط، يعني الحديث، ولا مثل حماد ابن سلمة، يعني في الرأي " [1].

وقال مكحول: " ما أعلم أحداً أعلم بسنة ماضية من الزهري ".

وقال: " ابن شهاب أعلم الناس ".

وقيل له: " من أعلم الناس؟ قال: ابن شهاب، فقيل: ثم من؟ قال ابن شهاب ".

وقال: " ما بقي على ظهرها أعلم بسنة ماضية من الزهري ".

وقال قتادة: " ما بقي على ظهرها إلا اثنان، الزهري وآخر، فظننا أنه يعني نفسه ".

وقال سفيان: " مات الزهري يوم مات وما على الأرض أحد أعلم بالسنة منه " [2].

وقال الليث: " قال يحيى بن سعيد: ما بقي عند أحد من العلم ما بقي عند ابن شهاب ".

وقال الجُمَحي: " ما رأيت أحداً أقرب شيء من ابن شهاب من يحيى ابن سعيد ولولا ابن شهاب لذهب كثير من السنن ".

وقال مالك: " ما رأيت محدثاً فقيهاً إلا واحداً، قيل: من هو؟ قال: ابن شهاب ".

وقال ابن أُكَيمة: " لولا ابن شهاب لذهب كثير من السنن ".

وقال عمر بن عبد العزيز لجلسائه: " هل تأتون ابن شهاب؟ قالوا: إنا لنفعل، قال: فأتوه فإنه ليس أحد أعلم بسنة ماضية منه ".

---

(1) المعرفة والتاريخ (1/ 621). الطبقات الكبرى (174)، وتاريخ الإسلام (5/ 146)، وتاريخ دمشق رقم (122)، والمعرفة والتاريخ (1/ 637)، والحلية (3/ 361).

(2) الطبقات الكبرى (178) القسم المتمم، والطبقات الكبرى (2/ 389)، والمعرفة والتاريخ (1/ 641 - 642)، وتاريخ أبي زرعة رقم (958). محمد بن محمد العواجي، مرويات الإمام الزهري في المغازي، الطبعة: الأولى 1425هـ/2004م، 1 / 141.

وقال: " ما أتاك به الزهري بسنده فاشدد به يديك ".

وقال أيوب السختياني: " ما رأيت أحداً أعلم من الزهري " [1].

وقال أيضاً " ما رأيت أحداً أعلم من الزهري، فقيل له: ولا الحسن؟ قال: ما رأيت أعلم من الزهري ".

وقال أبو بكر الهذلي: " لم أر مثل هذا قط ".

وفي رواية له قال: " جالست الحسن وابن سيرين فما رأيت مثله، يعني الزهري ".

وعن إبراهيم بن سعد عن أبيه قال: " ما أرى أحداً جمع ما جمع ابن شهاب ".

وعن جعفر بن ربيعة قال: " قلت لعِراك بن مالك: من أفقه أهل المدينة؟ قال: أما أعلمهم بقضايا الرسول صلى الله عليه وسلم وقضايا أبي بكر وعمر وعثمان، وأفقههم فقهاً وأعلمهم بما مضى من أمر الناس فسعيد بن المسيب، وأما أغزرهم حديثاً فعروة بن الزبير، وأعلمهم عندي جميعاً ابن شهاب، فإنه جمع علمهم جميعاً إلى علمه ".

وقال عنه عبد الملك بن مروان: " ما مات رجل ترك مثلك ".

وأخيراً قال عنه الليث بن سعد: " ما رأيت عالماً قط أجمع من ابن شهاب، ولا أكثر علماً منه، ولو سمعت من ابن شهاب يحدث عن الترغيب، فتقول: لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن العرب والأنساب قلت: لا يحسن إلا هذا، فإن حدث عن الأنبياء وأهل الكتاب، قلت: لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن القرآن والسنة كان حديثه، ثم يتلوه بدعاء جامع يقول: اللهم إني أسألك من كل خير أحاط به علمك في الدنيا والآخرة، وأعوذ بك من كل شر أحاط به علمك في الدنيا والآخرة " [2].

---

(1) المعرفة (1/ 631). تاريخ أبي زرعة رقم: (960)، والإرشاد للخليلي (1/ 189)، وتاريخ دمشق (1240) ترجمة الزهري. الطبقات الكبرى (2/ 389)، والطبقات (178)، القسم المتمم، والتاريخ الكبير (1/ 220)، والمعرفة والتاريخ (1/ 638).

(2) الطبقات الكبرى (2/ 388). المعرفة والتاريخ (1/ 471 و1/ 622 - 623). التاريخ الكبير

روى الإمام الزهري رحمه الله عن شيوخ عدة في الحديث والسير والمغازي وغيرها، منهم أنس بن مالك رضي الله عنه، وثعلبة بن أبي مالك، والسائب بن يزيد رضي الله عنه وسنان بن أبي سنان الدؤلي وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وعباد بن زياد، المعروف أبوه بزياد بن أبي سفيان وعبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وعبد الرحمن بن أزهر القرشي الزهري.

وكان الزهري رحمه الله مدلساً [1]، فقد وصفه الشافعي والدارقطني وغير واحد بذلك كما قال الحافظ.

ولكن تدليسه كان نادراً كما قال الذهبي.

وقد ذكره العلائي رحمه الله في الطبقة الثانية من طبقات المدلسين، وهم ممن احتمل الأئمة تدليسهم، قال رحمه الله: " وثانيها: من احتمل الأئمة تدليسه وخرجوا له في الصحيح، وإن لم يصرح بالسماع، وذلك لإمامته أو لقلة تدليسه في جنب ما رَوَى أو لأنه لا يدلس إلا عن ثقة، كالزهري وسليمان الأعمش، وإبراهيم النخعي ".

وما يؤخذ علي الزهري مخالطته الملوك من بني أمية فقد ذكر بعض علماء الزيدية أن مخالطة الزهري لسلاطين بني أمية يعد موالاة لهم وإعانة لهم، وهذا قدح وجرح في شخصية الزهري، وأنه ما وقف معهم إلا ليعينهم على المظالم على العموم.

وقد تولى العلامة ابن الوزير في كتابه (العواصم والقواصم) الرد على هذه التهمة بكلام طويل أذكر منه ما يفي بالمقصود، قال رحمه الله: " والأمر في الزهري قريب والإشكال فيه سهل، لكن القدح الذي قدح به السيد على الزهري يقتضي القدح في كثير من العلماء والفضلاء، ممن خالط الملوك فإن التاركين لذلك من العلماء هم الأقلون عدداً، وإذا طالعت كتب التواريخ لم تكد تجد أحداً

(1/ 5)، والحلية (3/ 363).

(1) التدليس هو: أن يروي الراوي عن شيخه حديثاً لم يسمعه منه بلفظ عن أو قال أو ذكر ونحو ذلك مما يوهم الاتصال ولا يصرح بحدثنا. جامع التحصيل 97، وتدريب الراوي 223/1 - 224. محمد بن محمد العواجي، مرويات الإمام الزهري في المغازي، الطبعة: الأولى 1425هـ/2004م، 1 / 142.

من العلماء إلا وله علاقة بالسلاطين أو مخالطة لهم أو وفادة عليهم أو قبول لعطاياهم، فمنهم المقل ومنهم المكثر " [1].

ثم قال: " وأما من خالط الملوك أو كاتبهم أو قبل عطاياهم فهو السواد الأعظم من المتقدمين والمتأخرين من الصحابة والتابعين، وأنا أذكر منهم عيوناً حسب ما حضرني. ثم ذكر رحمه الله نماذج من ذلك منها:

مخالطة يوسف عليه السلام لعزيز مصر.

أن الحسن بن علي - رضي الله عنه - كان يكاتب معاوية ويدخل عليه، ويأخذ منه العطايا.

ذكر أيضاً مخالطة الشافعي وأبي يوسف ومحمد بن الحسن لهارون الرشيد.

قلت: وأما قوله: إنه إنما وقف معهم ليعينهم على المظالم على العموم، فغير مسلم لوجهين:

الوجه الأول: أنه كان يصدع بالحق ولا يخاف في الله لومة لائم، فقد أخرج عبد الرزاق في تفسيره قال: أنا معمر عن الزهري قال: كنت عند الوليد بن عبد الملك، فقال: الذي تولى كبره منهم علي بن أبي طالب، قلت: لا، حدثني سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود كلهم سمعوا عائشة تقول: الذي تولى كبره منهم عبد الله بن أبي.

وأخرج أبو نعيم في الحلية؛ من طريق سفيان بن عيينة عن الزهري قال: " كنت عند الوليد بن عبد الملك فتلا هذه الآية{ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ} [النور: ١١]، قال: نزلت في علي بن أبي طالب، قال الزهري: أصلح الله الأمير، ليس كذا أخبرني عروة عن عائشة رضي الله عنها، قالت: وكيف أخبرك؟ قال: أخبرني عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق " [2].

قال الحافظ ابن حجر: " وكأن بعض من لا خير فيه من الناصبة، تقرب إلى

(1) العواصم والقواصم 187/8 - 188. محمد بن محمد العواجي، مرويات الإمام الزهري في المغازي، الطبعة: الأولى 1425هـ/2004م، 1 / 143.

(2) الحلية لأبي نعيم 369/3. محمد بن محمد العواجي، مرويات الإمام الزهري في المغازي، الطبعة: الأولى 1425هـ/2004م، 1 / 144.

بني أمية بهذه الكذبة فحرفوا قول عائشة إلى غير وجهه لعلمهم بانحرافهم عن علي فظنوا صحتها حتى بين الزهري للوليد أن الحق خلاف ذلك، فجزاه الله تعالى خيراً "[1].

الوجه الثاني: قدح الزهري في الوليد بن يزيد، بسبب إسرافه في المعاصي.

فقد أخرج ابن سعد في الطبقات عن أبي الزناد قال: " كان الزهري يقدح أبداً عند هشام بن عبد الملك في خلع الوليد بن يزيد ويعيبه، ويذكر أموراً عظيمة لا ينطق بها، حتى يذكر الصبيان أنهم يخضبون بالحناء، ويقول هشام: لا يحل لك إلا خلعه ".

فيتضح مما سبق أن قولهم: إنما وقف الزهري مع بني أمية ليعينهم على المظالم على العموم لا دليل عليه، فقد دلت تلك النصوص المتقدم ذكرها على أن ابن شهاب الزهري رحمه الله كان لا يداهن في قول الحق أبداً وقد شهد له بذلك كبار أئمة الإسلام.

الطبقات الكبرى، القسم المتمم (183) تحقيق: زياد منصور، وفي سندها الواقدي وهو متروك، لكن تشهد لها رواية الطبري في تاريخه 253/7، بألفاظ متقاربة.

قال الإمام الأوزاعي: " ما أدهن ابن شهاب لملك قط دخل عليه، ولا أدركت خلافة هشام أحداً من التابعين أفقه منه " فلا يصدق تلك التهمة إلا من أعمى الله بصيرته عن الحق الأبلج.

وذكر الحافظ ابن حجر أنه قد ورد عند ابن مردويه من وجه آخر عن الزهري قال: " كنت عند الوليد بن عبد الملك ليلة من الليالي، وهو يقرأ سورة النور مستلقياً فلما بلغ هذه الآية{ٱ ب ب ٻ ٻ پ} [النور: ١١] حتى بلغ{ڦ ڦ ڦ} [النور: ١١]، جلس ثم قال: يا أبا بكر من تولى كبره منهم؟ أليس علي بن أبي طالب؟ قال: فقلت في نفسي: ماذا أقول؟ لئن قلت: لا لقد خشيت أن ألقى منه شراً، ولئن قلت: نعم، لقد جئت بأمر عظيم، قلت في نفسي: لقد عودني الله على الصدق خيراً، قلت: لا، قال: فضرب بقضيبه على السرير ثم قال: فمن فمن؟

(1) فتح الباري 437/7. محمد بن محمد العواجي، مرويات الإمام الزهري في المغازي، الطبعة: الأولى 1425هـ/2004م، 1 / 144.

حتى ردد ذلك مراراً، وقلت: لكنه عبد الله بن أبي.

وقد كان هشام بن عبد الملك يعتقد معتقد الوليد، فقد ذكر ابن حجر أن يعقوب بن شيبة أخرج في مسنده عن الحسن بن علي الحلواني عن الشافعي قال: حدثنا عمي قال: " دخل سليمان بن يسار على هشام بن عبد الملك، فقال له: يا سليمان الذي تولى كبره من هو؟ قال: عبد الله بن أبي، قال: كذبت، هو علي، قال: أمير المؤمنين أعلم بما يقول، فدخل الزهري فقال: يا ابن شهاب من الذي تولى كبره؟ قال: ابن أبي، قال: كذبت هو علي، فقال أنا أكذب لا أبا لك، والله لو نادى مناد من السماء أن الله أحل الكذب ما كذبت، حدثني عروة وسعيد وعبيد الله، وعلقمة عن عائشة: أن الذي تولى كبره عبد الله بن أبي[1].

وقد اتهم علماء الشيعة الزهري بالنصب [2] زوراً وبهتاناً.

فيقول الطوسي: " محمد بن شهاب الزهري عدو ".

وقال ابن أبي الحديد: " وكان الزهري من المنحرفين عنه عليه السلام " - يعني علي بن أبي طالب -.

وهذه التهم مردودة من وجوه:

الأول: أن موقف الزهري من الوليد بن عبد الملك في قصة من تولى كبر الإفك دليل على حبه لعلي رضي الله عنه.

الثاني: أن مذهبه في علي رضي الله عنه هو مذهب أهل السنة من السلف الصالح حيث يقدم أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علياً - رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

الثالث: أن الزهري قد روى عن جماعة كبيرة من آل البيت منهم: كثير بن العباس بن عبد المطلب، وعبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب،

(1) وقد أخرج هذه الرواية ابن عساكر في تاريخ دمشق ترجمة الزهري رقم (266)، والسيوطي في الدر المنثور 157/6. محمد بن محمد العواجي، مرويات الإمام الزهري في المغازي، الطبعة: الأولى 1425هـ/2004م، 1 / 145.

(2) أهل النصب الذين ناصبوا علياً رضي الله عنه أي أظهروا له العداء وفسقوه، أساس البلاغة للزمخشري 960، وفي القاموس: أهل النصب: المتدينون ببغض علي رضي الله عنه، لأنهم نصبوا له أي عادوه: نصب.

وعبد الله والحسن ابنا محمد بن علي بن أبي طالب، وزين العابدين بن علي بن الحسن وزيد بن علي بن الحسن، وأبوجعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي الباقر.

الرابع: أنه قد أثنى على علي بن الحسين فقال فيه: " ما رأيت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين ".

وقال عنه: " كان علي بن الحسين من أفضل أهل بيته، وأفقههم، وأحسنهم طاعة، وأحبهم إلى مروان بن الحكم وابنه عبد الملك.

وقال: " لم أدرك من أهل البيت أفضل من علي بن الحسين.

بل قيل: إن من أصح الأسانيد: الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي[1].

فكيف يعقل أن يكون ناصبياً، وآل البيت عنده بهذه المنزلة، سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم.

توفي رحمه الله ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين ومائة. وكان عمره حين وفاته اثنتين وسبعين سنة[2].

مواقف من حياة الزهري:

أما والله لو كنت غنياً لجالسني:

ذكر أبو حازم عند الزهري فقال: أما والله إنه لجاري، وما جالسته قط، قال أبو حازم: ذاك لأني مسكين، أما والله لو كنت غنياً لجالسني، قال الزهري: قد سببتني، قال: أجل.

(1) تاريخ دمشق رقم (130) وجامع الأصول 154/1، تهذيب الكمال 136/26. الطبقات الكبرى لابن سعد 215/5، وتاريخ أبي زرعة رقم (973). الجرح والتعديل 178/6 رقم الترجمة (977).

(2) تاريخ دمشق 41، 47، 185، ووفيات الأعيان 178/4، وتهذيب الكمال 441/26، محمد بن محمد العواجي، مرويات الإمام الزهري في المغازي، الطبعة: الأولى 1425هـ/2004م، 1 / 146.

فكن على حذر:

قال الزهري: سمعت رجلاً يقول لهشام بن عبد الملك: لا تعدن يا أمير المؤمنين عدة لا تثق من نفسك بإنجازها، ولا يغرنك المرتقى السهل إذا كان المنحدر وعراً، وأعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب، وأن للأمور تعاقباً فكن على حذر.

أخرج الله منه زق عسل:

قال الزهري: كان يقال: بنو أمية دن خل أخرج الله منه زق عسل، يعني عمر بن عبد العزيز رحمه الله.

أما علمت أنّي أمرت أن لا يتكلّم أحدٌ بإعراب؟ :

قال محمد بن شهاب الزّهري: كنت عند عبد الملك بن مروان فدخل عليه رجلٌ حسن الفصاحة، فقال له عبد الملك: كم عطاؤك؟ قال: مائتا دينار، قال: في كم ديونك؟ قال: في مائتي دينار، قال: أما علمت أنّي أمرت أن لا يتكلّم أحدٌ بإعراب؟ قال: ما علمت ذلك، قال: أمن العرب أنت أم من الموالي؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن تكن العربية أباً فلست منها، وإن تكن لساناً فإنّي منها، قال: صدقت، قال الله تعالى:{ﭐﯤ ﯥﯦ} [الشعراء: ١٩٥].

إنّما هو دينٌ:

قال ابن شهاب الزّهري: قدمت على عبد الملك بن مروان فقال لي: من أين قدمت يا زهريّ؟ قلت: من مكة، قال: فمن خلّفت يسودها؟ قلت عطاء بن أبي رباح، قال: أفمن العرب هو أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، قال: فبم سادهم؟ قلت: بالديّانة، قال: إنّ أهل الديّانة والرّواية لينبغي أن يسودوا. قال: فمن يسود أهل اليمن؟ قلت: طاووس بن كيسان، قال: أفمن العرب هو أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، قال: فبم سادهم؟ قلت: بما سادهم به عطاء، قال: فمن يسود أهل مصر؟ قلت: يزيد بن أبي حبيب، قال: أفمن العرب هو أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، قال: فمن يسود أهل الشام؟ قلت: مكحول، قال: أمن العرب هو أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، عبدٌ نوبيٌّ أعتقته امرأةٌ من هذيل، قال: فمن يسود أهل الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهران، قال: أمن العرب هو؟ قلت: بل من الموالي، قال: فمن

يسود أهل خراسان؟ قلت: الضّحّاك بن مزاحم، قال: أفمن العرب هو؟ قلت: بل من الموالي، قال: فمن يسود أهل البصرة؟ قلت: الحسن البصري، قال: أفمن العرب هو؟ قلت: بل من الموالي، قال: ويلك فمن يسود أهل الكوفة؟ قلت: إبراهيم النّخعيّ، قال: أفمن العرب؟ قلت: من العرب، قال: ويلك فرّجت عنّي، والله ليسودنّ الموالي العرب حتى يخطب لها على المنابر والعرب تحتها، قال، قلت: يا أمير المؤمنين، إنّما هو دينٌ، من حفظه ساد، ومن ضيّعه سقط [1].

كيف عاد الزهري إلى قول الحديث؟ :

حدثنا محمد بن يحيى الصولي، حدثنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا الحسن بن عمارة، قال: أتيت الزهري بعد أن ترك الحديث فألفيته على بابه، فقلت: إن رأيت أن تحدثني، قال: أما علمت أني قد تركت الحديث؟ فقلت: أما أن تحدثني وإما أن أحدثك، فقال: حدثني، فقلت: حدثني الحكم بن عيينة، عن يحيى بن الجزار، قال: سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يقول: " ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا ".

قال: فحدثني أربعين حديثاً [2].

يا أضغاث يا أضغاث! :

عن الزهري، قال: أتيت عبد الملك بن مروان فاستأذنت عليه فلم يؤذن لي، فدخل الحاجب، فقال: يا أمير المؤمنين إن بالباب رجلاً شابا أحمر، زعم أنه من قريش، قال: صفه فوصفه له، قال: لا أعرفه إلا أن يكون من ولد مسلم بن شهاب، فدخل عليه، فقال: هو من بني مسلم فدخلت، قال: من أنت؟ فانتسبت له وقلت: إن أبي هلك وترك عيالاً صبية، وكان رجلاً متلافاً لم يترك مالاً، فقال: لي عبد الملك: أقرأت القرآن؟ قلت: نعم بإعرابه، قال: وما ينبغي منه من وجوهه وعلله؟ قال: قلت: نعم، قال: إنما فوق ذلك فضل إنما يراد أن يعايا ويلغز به، قلت: نعم، قال: تعلمت الفرائض؟ قلت: نعم، قال: الصلب والجد واختلافهما؟ قلت: أرجو أن أكون قد فعلت، قال: وكم دين أبيك؟ قلت له: كذا وكذا، قال: قد

(1) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، البصائر والذخائر، 9 / 152.
(2) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، 1 / 151.

قضى الله دين أبيك، وأمر لي: بجائزة ورزق يجري، وشراء دارٍ قطيعة بالمدينة، وقال: اذهب فاطلب العلم ولا تشاغل عنه بشيءٍ فإني أرى لك عيناً حافظة وقلباً زاكياً، وأنت الأنصار في منازلهم، قال الزهري وكنت أخذت العلم عنهم بالمدينة، فلما خرجت إليهم إذا علم جم فأتبعتهم حتى ذكرت لي امرأة نحو قباء تروي رؤيا فأتيتها، فقلت: أخبريني برؤياك، قال: فقالت: كان لي ولدان واحدٌ حين حبا، والآخر يتبعه، وهلك أبوهما وترك واهناً وداجناً ونخلات، فكان الداجن نشرب لبنها ونأكل تمر النخلات، فإني لبين النائمة واليقظانة - قال: القاضي: هكذا في الخبر والمشهور في العربية اليقظى - ولنا جديٌ فرأيت كأن ابني الأكبر قد جاء إلى شفرةٍ لنا فأخذها، وقال يا أمه! قد أضررت بنا وحبست اللبن عنا، فأخذ الشفرة وقام إلى ولد الداجن فذبحه بتلك الشفرة، ثم نصب قدراً لنا ثم قطعه ووضعه فيها، ثم قام إلى أخيه فذبحه بتلك الشفرة، واستنبهت مذعورة وإذا ابني الأكبر قد جاء، فقال: يا أمه! أين اللبن، فقلت: يشربه ولد هذه الداجن، فقال: ما لنا في هذا من شيءٍ، وقام إلى الشفرة فأخذها ثم أمرها على حلق الداجن ثم نصب القدر، قالت: فلم أكلمه حتى قمت إلى ابني الصغير فاحتضنته فأتيت به بعض بيوت الجيران فخبأته عندهم، ثم أقبلت مغتمة لما رأيت، ثم صعد على بعض تلك النخلات فأنزل رطباً ثم قال: يا أمه! أدني فكلي، قلت: لا أريد، ثم مضى في بعض حوائجه وترك القدر فإني لمنكبة على بليس عندي إذ ذهب بي النوم فإذا أنا بآتٍ قد أتاني، فقال: مالك مغتمة؟ فقلت: لكذا وكذا، ولأن ابني صنع كذا وكذا، فنادى يا رؤياه يا رؤياه! فجاءت امرأةٌ شابةٌ حسنة الوجه طيبة الريح، فقال: ما أردت من هذه المرأة الصالحة، قالت: ما أردت منها شيئاً، فنادى: يا أضغاث يا أضغاث! فأقبلت امرأةٌ سوداء الخلقة وسخة الثياب دونها، فقال: ما أردت من هذه المرأة؟ قالت: رأيتها صالحة فأردت أن أغمها، قالت: ثم انتبهت فإذا ابني أقبل، فقال: يا أمه! أين أخي؟ قلت: لا أدري حبا إلى بعض الجيران، قالت: فذهب يمشي لهو أهدى إلى موضعه حتى أخذه وجاء به فقبله، ثم قعد فأكل وأكلت معه [1].

(1) قال القاضي: قوله: في الخبر وترك لي ماهناً وداجناً، الماهن: الخادم، ويقال: مهن الرجل مهنةً

أربع كلمات:

وقال الزهري: ما سمعت بأحسن من كلام تكلم به رجل عند سليمان بن عبد الملك، فقال: يا أمير المؤمنين اسمع مني أربع كلمات، فيهن صلاح دينك وملكك وآخرتك ودنياك. قال: ما هن؟ قال: لا تعد أحداً عدة وأنت لا تريد إنجازها، ولا يغرنك مرتقى سهلاً إذا كان المنحدر وعراً، واعلم أن للأعمال جزاء فاحذر العواقب، وللدهر ثورات فكن على حذر [1].

فالله أحق أن يعمل بفرائضه:

عن الزهري. قال سألني هشام بن عبد الملك. قال أبلغك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: " من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، قلت نعم، وكان ذلك قبل أن تنزل الفرائض فالله أحق أن يعمل بفرائضه ".

من الخير اتقاء الشر:

أعطى الزهري شاعراً، فقيل له في ذلك فقال: إن من الخير اتقاء الشر.

هذا فراق بيني وبينك :

كان عبد الملك بن مروان يسمي حمامة المسجد للزومه المسجد الحرام، فلما أتاه الخبر بخلافته كان المصحف في حجره، فوضعه وقال: هذا فراق بيني

ومهنةً، وفلان في مهنة أهله ومهنة أهله، والفتح عند كثير من أهل اللغة أعلى، ويقال: مهن مهانةً من الهوان، ومن المهان بمعنى الخادم، قول الشاعر:

وهزئن مني أن رأين مويهناً تبدو عليه شتامة المملوك

وأما الداجن، فهي الشاة من شياه البيوت التي تعلف، وجمهور الفقهاء لا ترى في دواجن الشاء زكاة، وهو مذهب عامة أهل العراق وبه نقول، وقد أوجب عددٌ من فقهاء الحجاز الزكاة في دواجن الغنم، كما أوجبها الجميع في سوائمها، واختلافهم في عوامل الإبل والبقر كختلافهم في دواجن الغنم، وكلامنا في هذا على استقصاء الحجج مرسوم فيما ألفناه من كتبنا في الفقه.

وقول المرأة: وإني لمتكئةٍ على بلسٍ لي، البلس: بعض ما يكون في رحل القوم من المتاع الذي يتكأ عليه، وهو اسم أعجمي لا أعرفه في العربية وأراه بالرومية وقد استعمل على تولده قديماً وحديثاً فروي في خبرٍ ذكر أن أبا جفر الجمحي نظر بين الحسن بن زيد ومحمد بن عبد العزيز، فقال: إنه أقامني على البلس يعني الحسن، فكأنه اسم لما يعلى عليه من كراسي أو ما أشبهه ن. المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، 1 / 175.

(1) الطرطوشي، سراج الملوك، 1 / 22.

وبينك. وقال: إني كنت أتحرج أن أطأ غلة، وأن الحجاج يكتب إلي في قتل فئام من الناس فما أحفل بذلك! وقال له الزهري يوماً: بلغني أنك شربت الطلاء! فقال: أي والله والدماء! وقال: عجباً للسلطان كيف يحسن، وإذا أساء وجد من يزكيه ويمدحه! [1]

زين العابدين:

قال ابن شهاب الزهري شهدت علي بن الحسين يوم حمله إلى عبد الملك بن مروان من المدينة إلى الشام، فأثقله حديداً، ووكل به حفاظاً في عدة وجمع، فاستأذنتهم في التسليم عليه والتوديع له فأذنوا لي، فدخلت عليه وهو في قبة والقيود في رجليه والغل في يديه، فبكيت وقلت: وددت أني مكانك وأنت سالم، فقال: يا زهري أوتظن هذا مما ترى علي وفي عنقي يكربني؟ أما لو شئت ما كان، فإنه إن بلغ منك ومن أمثالك ليذكرني عذاب الله، ثم أخرج يديه من الغل ورجليه من القيد، ثم قال: يا زهري لا جزت معهم على ذا ميلين من المدينة. قال: فما لبثت إلا أربع ليال حتى قدم الموكلون به يطلبونه بالمدينة، قال: فلما وجدوه، فكنت فيمن سألهم عنه، فقال لي بعضهم: إنا نراه متبوعاً، إنه لنازل ونحن حوله لا ننام لنرصده، إذ أصبحنا نفتقده فما وجدنا بين محمليه إلا حديده. قال الزهري: وقدمت بعد ذلك على عبد الملك، فسألني عن علي بن الحسين فأخبرته، فقال إنه قد جاء في يوم فقده الأعوان فدخل علي فقال ما أنا فقلتة: أقم عندي، قال: لا أحب، ثم خرج فو الله لقد امتلأ ثوبي منه خيفة، قال الزهري فقلت: يا أمير المؤمنين ليس علي بن الحسين حيث يظن، إنه مشغول بنفسه، قال: حبذا شغل مثله0قال: وكان الزهري إذا ذكر علي بن الحسين يبكي ويقول: زين العابدين [2].

(1) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 77/1.
(2) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 1 / 23.

إن الناس ليغووننا عن ديننا :

دخل الزهري على الوليد بن عبد الملك فقال له: ما حديث يحدثنا به أهل الشام قال: يحدثوننا أن الله إذا استرعى عبدا رعيته كتب له الحسنات ولم يكتب له السيئات.

قال: باطل يا أمير المؤمنين أنبي خليفة أكرم على الله أم خليعة غير نبي قل: بل نبي خليفة.

قال: فإن الله تعالى يقول لنبيه داور عليه السلام: " يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله.

إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ".

فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبي خليفة فما ظنك بخليفة غير نبي قال: إن الناس ليغووننا عن ديننا.

عن عطاء بن يسار قال: قلت للوليد بن عبد الملك: قال عمر بن الخطاب: وددت أني خرجت من هذا الأمر كفافا لا علي ولا لي.

فقال: كذبت. فقلت: أو المشورة قال النبي صلى الله عليه وسلم : ما ندم من استشار ولا خاب من استخار.

وقدر أمر الله تبارك وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بمشاورة من هو دونه في الرأي والحزم فقال: " وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ".

ولما هممت ثقيف بالارتداد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم استشاروا عثمان بن أبي العاص وكان مطاعا فيهم فقال لهم: لا تكونوا آخر العرب إسلاما وأولهم ارتدادا. فنفعهم الله برأيه [1].

إن مثلك إذا عفا لم يعدد وإذا صفح لم يثرب:

قال ابن شهاب الزهري: دخلت على عبد الملك بن مروان في رجال من أهل المدينة فرآني أحدثهم سنا فقال لي: من أنت فانتسبت له فقال: لقد كان أبوك وعمك نعاقين في فتنة ابن الأشعث فقلت: يا أمير المؤمنين إن مثلك إذا عفا لم

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 1 / 36.

يعدد وإذا صفح لم يثرب.

فأعجبه ذلك وقال: أين نشأت قلت: بالمدينة قال: عند من طلبت قلت: سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وقبيصة بن ذؤيب قال: فأين أنت من عروة بن الزبير فإنه بحر لا تكدره الدلاء.

فلما انصرفت من عنده لم أبارح عروة بن الزبير حتى مات [1].

ونحمد الذي عافانا مما ابتلاك به والسلام:

كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهري: عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك أصبحت شيخاً كبيراً وقد أثقلتك نعم الله عليك فيما أصح من بدنك وأطال من عمرك وعلمت حجج الله تعالى مما علمك من كتابه وفقهك فيه من دينه وفهمك من سنة نبيه فرمى بك في كل نعمة أنعمها عليك وكل حجة يحتج بها عليك الغرض الأقصى ابتلى في ذلك شكرك وأبدفيه فضله عليك وقد قال عز وجل:{ﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲ} [إبراهيم: ٧]؛ فانظر أي رجل تكون إذا وقفت بين يدي الله عز وجل فسألك عن نعمه عليك كيف رعيتها وعن حججه عليك كيف قضيتها فلا تحسبن الله عز وجل راضياً منك بالتعذير ولا قابلاً منك التقصير، هيهات ليس ذاك أخذ على العلماء في كتابه إذ قال:{ﭑﭒﭓﭔ} [آل عمران: ١٨٧]؛ إنك تقول إنك جدل ماهر عالم قد جادلت الناس فجدلتهم وخاصمتهم فخصمتهم إدلالا منك بفهمك واقتداراً منك برأيك فأين تذهب عن قول الله عز وجل:{ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇ} [النساء: ١٠٩]؛ اعلم أن أدنى ما ارتكبت وأعظم ما احتقبت أن آنست الظالم وسهلت له طريق الغي بدنوك حين أدنيت وإجابتك حين دعيت، فما أخلقك أن ينوه غداً باسمك مع الجرمة وأن تسأل عما أردت باغضائك عن ظلم الظلمة، إنك أخذت ما ليس لمن أعطاك، جعلوك قطباً تدور عليه رحى باطلهم وجسراً يعبرون بك إلى بلائهم وسلماً إلى ضلالتهم، يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم، فلم يبلغ أخص وزرائهم ولا أقوى أعوانهم لهم إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم واختلاف الخاصة والعامة إليهم، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 1 / 310.

عليك، وما أقل ما أعطوك في قدر ما أخذوا منك! فانظر لنفسك فإنه لا ينظر لها غيرك، وحاسبها حساب رجل مسؤول، وانظر كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيراً وكبيراً، وانظر كيف إعظامك أمر من جعلك بدينه في الناس مبجلاً وكيف صيانتك لكسوة من جعلك بكسوته مستتراً، وكيف قربك وبعدك ممن أمرك أن تكون منه قريباً، ما لك لا تتنبه من نعستك وتستقيل من عثرتك؟! فتقول: والله ما قمت لله عز وجل مقاماً واحداً أحيي له فيه ديناً ولا أميت له فيه باطلاً، أين شكرك لمن استحملك كتابه واستودعك علمه؟! ما يؤمنك أن تكون من الذين قال الله عز وجل فيهم: {ﻫ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ} [الأعراف: ١٦٩] الآية؛ إنك لست في دار مقام، قد أوذنت بالرحيل، فما بقاء المرء بعد أقرانه؟! طوبى لمن كان في الدنيا على وجل، ما يؤمن من أن يموت وتبقى ذنوبه من بعده؟ إنك لم تؤمر بالنظر لوارثك على نفسك، ليس أحد أهلاً أن ترد له على ظهرك، ذهبت اللذة وبقيت التبعة، ما أشقى من سعد بكسبه غيره! احذر فقد أتيت، وتخلَّص فقد وهلت، إنك تعامل من لا يجهل، والذي يحفظ عليك لا يغفل، تجهز فقد دنا منك سفر بعيد، وداو دينك فقد دخله سقم شديد، ولا تحسبن أني أردت توبيخك وتعييرك وتعنيفك، ولكني أردت أن تنعش ما فات من رأيك وترد عليك ما عزب عنك من حلمك وذكرت قوله تعالى:{ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ} [الذاريات: ٥٥]، أغفلت ذكر من مضى من أسنانك وأقرانك وبقيت بعدهم كقرن أعضب فانظر هل ابتلوا بمثل ما ابتليت به أو دخلوا في مثل ما دخلت فيه؟ وهل تراه دخر لك خيراً منعوه أو علمك شيئاً جهلوه؛ فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا في كبر سنك ورسوخ علمك وحضور أجلك فمن يلوم الحدث في سنه الجاهل في علمه المأفون في رأيه المدخول في عقله؟!

ونحمد الذي عافانا مما ابتلاك به والسلام عليك ورحمة الله وبركاته [1].

وإنه لجاري وما علمتُ أنَّ هذا عنده! :

قال الزهري لسليمان بن عبد الملك: ألا تسأل أبا حازم ما قال في العلماء؟

(1) صفة الصفوة، 160/2 - 164.

قال: وما عسيتُ أن أقولَ في العلماء إلا خيراً! إني أدركتُ العلماءَ وقد استغنَوا بعلمهم عن أهلِ الدنيا ولم يستغنِ أهلُ الدنيا بدنياهم عن علمهم؛ فلما رأوا ذلك قدموا بعلمهم إلى أهل الدنيا ولم يُنِلْهمْ أهلُ الدنيا من دنياهم شيئاً! إن هذا وأصحابَه ليسوا علماء، إنما هم رواة؛ فقال الزهري: وإنه لجاري وما علمتُ أنَّ هذا عنده! قال: صدقَ أما إني لو كنتُ غنياً عرفتني!! فقال له سليمان: ما المخرج مما نحن فيه؟! قال: أن تمضي ما في يديك لما أُمِرتَ به وتكفَّ عما نهيتَ عنه؛ فقالَ: سبحان الله! من يطيق هذا؟! قال: من طلب الجنة وفرَّ من النار، وما هذا فيما تطلب وتفر منه؟!

من كلام الزهري :

قال الزهري: حقيق على من أورق بوعد أن يثمر بفعل.

قال الزهري: الأُذُن مَجَّاجةٌ وللنفس حَمْضَةٌ[1].

عن الزهري قال: ما رأيت قوماً أشبه بالنصارى من السبئية. قال أحمد بن يونس: هم الرافضة.

عن القاسم بن هزان سمع الزهري يقول: لا يرضين الناس قول عالم لا يعمل ولا عامل لا يعلم.

روى مالك بن أنس عن ابن شهاب الزهري قال: إن هذا العلم أدب الله الذي أدب به نبيه صلى الله عليه وسلم، وأدب النبي صلى الله عليه وسلم أمته، أمانة الله إلى رسوله، ليؤديه على ما أُدِّي إليه؛ فمن سمع علماً فليجعله امامه، حجة فيما بينه وبين الله عز وجل [2].

قال الزهريُّ: كنا نأتي العالمَ فما نتعلمُ مِن أدبِهِ أحبُّ إلينا مِن عِلْمِهِ.

قال الزهري: إن هذا العلمَ إنْ أخذتَه بالمكاثرة غلبَك ولم تظفرْ منه بشيء،

(1) قال أبو عبيد: (المجَّاجةُ التي تمجُّ ما تسمع، يعني أنها تُلقيه فلا تقبله إذا وُعظتْ بشيء أو نُهيت عنه. وقوله: وللنفس حَمْضَةٌ، الحمضة الشهوة للشيء، وإنما أُخذت من شهوة الإبل للحَمْض، وذلك إذا مَلَّت الخُلَّة اشتهت الحمضة، وهو كل نبت فيه مُلوحة، والخُلَّة ما لم تكن فيه ملوحة. قال الأصمعي: والعرب تقول: الخلة خبز الإبل والحمض فاكهتها).

(2) جامع الخطيب، 78/1.

ولكن خذه مع الأيام والليالي أخذاً رفيقاً تظفر به.

قال ابن شهاب الزهري: دعُوا السُنَّة تمضي لا تَعْرِضُوا لها بالرأي.

قال الزهري: وهل يُنتفع من السيئ الخلق بشيء؟ (1).

قال الزهري: إذا طال المجلس كان للشيطان فيه نصيب(2).

سئل الزّهري عن الزّهد فقال: والله ما هو من خشونة المطعم

وقد قال ابن شهابٍ الزُّهري: ليس الناسك إلا من غلب الحرام صبره، والحلال شكره.

عن الزهري، قال: الذل في خمسة أشياء: حضور المجلس بلا نسخة، وعبور المعبر بلا قطعة، ودخول الحمام بلا خادم، وتذلل الشريف للدنيء لينال منه، والتذلل للمرأة لينال من مالها.

خمسة لا يستحيا من خدمتهم: السلطان، والوالد، والعالم، والضيف، والدابة.

خمسة أشياء تقبح في خمسة أصناف: الحدة في السلطان، وقلة الحياء في ذوي الأحساب، والبخل في ذوي الأموال، والفتوة في الشيوخ، والحرص في العلماء والقراء (3).

شتم رجل الزهري فقال: إن كنت كما قلت فهو شر لي، وأن لم أكن كما قلت فهو شر لك. وكان يقول: متى قلت لمملوك أخزاك الله فهو حر.

كان الزهري إذا حدث عن القرآن والسنة تلاه بدعاء: اللهم إني أسألك كل خير أحاط به علمك في الدنيا والآخرة، وأعوذ بك من كل شر أحاط به علمك في الدنيا والآخرة.

الزهري: تعلم سنة خير من عبادة سنتين.

(1) إحكام الأحكام لابن حزم، ص789، روضة العقلاء، ص65.

(2) فبطول المجلس يحصل غالباً الملل والغفلة والدخول في أحاديث كثيرة مختلفة وتكرر محاولات الشيطان لاهتبال بعض غفلة أولئك الجالسين فيوقعهم في بعض ما يريد.

(3) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، 1 / 201.

قارف الزهري ذنباً فساح، فلقيه علي بن الحسين، فقال: يا زهري لقنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء أعظم من ذنبك. فقال الزهري: الله أعلم حيث يجعل رسالاته [1].

وقال الزهري: ما سمعت كلاماً أوجز من كلام عبد الملك بن مروان لولده حيث يقول: اطلبوا معيشة لا يقدر عليها سلطان جائر. قيل: ما هي؟ قال: الأدب.

قال الزهري: إذا أنكرت عقلك فاقدحه بعاقل. وقال: عدوك ذو العقل أبقى عليك وأرعى من الرامق الأحمق.

قال الزهري: ثلاث إذا كن في القاضي فليس بقاض: إذا كره اللوائم، وأحب المحامد، وخاف العزل؛ وبه ألمّ الشاعر في قوله:

سيان في الحكم شاكيه وشاكره ⁝ من الأنام وهاجيه ومطريه[2]

* * *

(1) الزمخشري، ربيع الأبرار، 1 / 492.
(2) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 1/1.